Journal Of the Iraqia University (71-1) February (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.iasj.net/iasj/issue/2776

الاغتراب في الرواية العربية الحديثة

م .د. وسن عبد السادة جودة

فرع العلوم الأساسية، كلية الطب، جامعة ابن سينا للعلوم الطبية والصيدلانية

Alienation in the Modern Arabic Novel

Dr.Wasan Abdalsada Joda
Ibn Sine University for Medical and Pharmaceutical Sciences
College of Medicine, Basic Sciences Department
wasanjoda@gmail.com

المستخلص

: تناولنا في البحث مفهوم الاغتراب في الرواية العربية الحديثة من خلال نماذج يبرز فيها اغتراب الشخصيات على وفق الأنواع الاغتراب العاطفي، والاغتراب الفكري، والاغتراب الاجتماعي في الروايات: (قبعة الزهايمر) للروائية سوزان دروزة، و(أحاسيس في المنفى) للروائية أسمى الزهار، و(غريب في لندن) للروائي جمال حيدر، و(باب الدروازة) للروائي علي لفتة سعيد . وقد أسفرت نتائج البحث عن تنوع الشخصيات المغتربة في المجتمع من الرجل والمرأة، والشاب والشيخ من دون الاقتصار على فئة معينة، فالاغتراب حالة إنسانية تصيب الفرد بحسب المؤثرات الخاصة والعامة. وقد ارتبط الاغتراب الاجتماعي بالغربة المكانية، وتشكّل الذاكرة لدى الشخص المغترب طوق نجاة اذا كانت إيجابية تبعث الدفء والحيوية فيه، وبخلافه فأنها تزيد من أزمته الوجودية. وحققت العنوانات الروائية في النماذج التعبير عن الفكرة الرئيسة للاغتراب في خطابها الروائي.

الكلمات المفتاحية: الاغتراب ، قبعة الزهايمر، أحاسيس في المنفى، غريب في لندن، باب الدروازة.

Abstract:

In this research, we discussed the concept of alienation in the modern Arabic novel through models that highlight the alienation of characters according to the types of emotional alienation, intellectual alienation, and social alienation in novels. The research results revealed the diversity of alienated characters in society, including men, women, young people and old people, without being limited to a specific category. Alienation is a human condition that affects the individual according to specific and general influences. Social alienation has been linked to spatial alienation, and memory constitutes a lifeline for the expatriate if it is positive and brings warmth and vitality to him. Otherwise, it increases his existential crisis.

Keywords: Alienation, Alzheimer`s hat, Feelings in exile, stranger in London, Aldarwazeh door .

المقدمة

يعد الاغتراب من المفاهيم، التي تناولتها العلوم والمعارف الإنسانية على وفق معطيات وجوده فيها. وهذا التشعب لمفهوم الاغتراب بين العلوم المختلفة أضاف له المرونة والتنوع والاختلاف، وفي الوقت نفسه صعوبة الاتفاق على مصطلح الاغتراب، لكن القاسم المشترك لمفهوم الاغتراب بين هذه العلوم الإنسانية، هو الإنسان فمشكلة الاغتراب تلقي ظلالها على الإنسان، الذي خلق بالفطرة كائن اجتماعي، يألف ويأنس بوجود الآخر وبمفارقة الإنسان هذه الميزة فأنه وقع في دائرة الاغتراب، الذي تتعدد أنواعه وأشكاله فهناك الاغتراب العاطفي والاغتراب الاجتماعي والاغتراب الثقافي والاغتراب السياسي والاغتراب الفكري والاغتراب الفلسفي والاغتراب الديني وغيرها . ويرى (هيجل) أن الاغتراب هو عملية انفصال الفرد شعوريا عن البناء الاجتماعي، الذي يحتويه ويحدث عندما توجد الصراعات إذ يرجع الفرد إلى ذاته بعيدا عما حوله، ويسود التنافر في علاقاته مع البناء الاجتماعي، وينشأ الاغتراب عندما يطرأ تغير في رؤية الشخص عن ذاته، ويكون بحاجة إلى الوعي لإدراك هذا الانفصال حتى يحقق الاندماج مرة أخرى في المجتمع، ويقهر الاغتراب وفي حالة عدم الوعي فأن الانفصال يزداد ويحاصر الذات في أزمة الصراع الوجودي (العتيبي، ٢٠١٨، الصفحات ٣٣-٣٤) . ويذهب (ماركس) بعد نظره في النظام الرأسمالي إلى أن الاغتراب هو فقدان الإنسان لذاته، إذ يغترب العامل عما

ينتجه بهدف زيادة رأس المال بعيدا عن إشباع الحاجات الإنسانية، ويقع تحت تصرف الآلات والتنظيم الرأسمالي، ويتحول إلى سلعة مغتربا عن وجوده الإنساني (خليفة، ٢٠٠٣، صفحة ٨٨،٢٨). ورأى (ريتشارد شاخت) أن مفهوم الاغتراب يمكن أن يشير إلى عدة أمور منها : انتقال الملكية غير الشرعي بين الأفراد و الشعوب، أو غياب الوعي وفقدان القدرات العقلية السوية، أو انهيار العلاقات الودية العاطفية بين الأشخاص، أو الاغتراب الديني والابتعاد عن الإيمان (بركات، ٢٠٠٦، صفحة ٣٧). وتعامل (إريك فروم) مع مفهوم الاغتراب من خلال مفهومي الذات الأصيلة والذات الزائفة، فالذات الأصيلة هي الذات التي حققت وجودها الإنساني المتكامل، فهي ذات غير مغتربة. وبخلافه الذات الزائفة التي اغتربت عن نفسها، وانفصلت عن وجودها الإنساني الأصيل. وجذور هذه المفاهيم موجودة في الفلسفة الوجودية، التي ترى أن الوجود البشري يتسامى في الحرية والمسؤولية والتفرد (حماد، ٢٠٠٥ ، صفحة ١٢١) . وكذلك يذهب (مارتن هايدغر) أن الإنسان يكون مغتربا عندما يتخلى عن حق الاختيار، ويهرب من ذاته وما يعاني من أزمات، ويعيش حالة من الزيف فينفي وجوده وتفرده ويفشل في تحقيق وجوده الأصيل فيما حوله (بركات، ٢٠٠٦، صفحة ٤٦). وربما تبقى علاقة الاغتراب بعلم النفس هي الأكثر ظهورا ووضوحا في الذات الإنسانية؛ لأن أعراض الاغتراب ومظاهره تصيب الإنسان، وتؤدي به إلى الحالات النفسية التي تحدث نزاعا بين الفرد وذاته، أو بين الفرد ومجتمعه، فيعاني الفرد من القلق والملل والضياع، والعزلة والوحدة والاكتئاب، وعدم الفعالية والتضاؤل وفي حالات الاغتراب الشديدة قد يصل إلى الذهانية واختلال الشخصية (الفلاحي، ٢٠١٣، صفحة ٢٣). وقد أشار (إريك فروم) إلى أن الاغتراب لم يسجل ضمن الأمراض النفسية، لكنه من بواعث هذه الأمراض إذا تفاقم، ولم يسيطر عليه الإنسان. فالمغترب هو إنسان مريض من الناحية الإنسانية، وليس العقلية (حماد، ٢٠٠٥ ، صفحة ٢٢١).وإذا تتبعنا مفهوم الاغتراب في الثقافة العربية، نجد أن معاني الغربة والاغتراب في اللغة العربية متعددة، وكلّها تصب في اتساع مفهوم الاغتراب، وتتمحور على وصول الشيء إلى أقصاه مع المبالغة والإكثار فيه سواء كان في المعنى الإيجابي، أو السلبي فضلا عن البعد والنوى والنزوح عن الوطن والأهل. وفي وصف من ضاق عليه عيشه بقولهم: صُرّ عليهَ رجل الغُراب، وأغرب في طلبه أي أمعن، فهو غريب ومغترب سواء كان في طلب العيش المادي، أو المعنوي (بن منظور، (ب،ت)، الصفحات ٢٣ – ٢٨ /ج١١) . ومع تطور ظروف الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية اقتصرت دلالة الاغتراب على الجانب السلبي، وانحسر الجانب الإيجابي في وصف المغترب. ويمكن أن نسترشد بتعريف الباحث (احمد أبو زيد) للاغتراب بأنه ((انسلاخ عن المجتمع والعزلة والانعزال عن التلاؤم والإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع، واللامبالاة وعدم الشعور بالانتماء...وانعدام الشعور بمغزى الحياة)) (خليفة، ٢٠٠٣، صفحة ٢١) ونضيف إليه انسلاخ الفرد عن ذاته قبل انسلاخه عن المجتمع. ويرى (د. حليم بركات) أن مشكلة عجز المجتمع العربي تصنع الواقع المغرِّب إذ تحيل الشعب، ولاسيما الطبقات المحرومة والفئات الضعيفة: (المرأة والأطفال وكبار السن) إلى كائنات عاجزة لا تقوى على مواجهة تحديات العصر. والشعب يخضع للسلطات المهيمنة على حياته من نظام الحكم والأحزاب، والمؤسسات العائلية والدينية، والاقتصادية، والاجتماعية والثقافية، فتسيطر عليه وتتحكم بحياته من دون مراعاة حق الإنسان في التفرد والإبداع فيضطر يائسا للانسحاب نحو ذاته، والانشغال بتدبير شؤونه الخاصة وتحسين أوضاعه المادية لا الإنسانية (بركات، ٢٠٠٠، صفحة ٩٢٠)وبعد التعرف على مفهوم الاغتراب وحضوره في كثير من العلوم الإنسانية سنحاول دراسته من خلال النماذج الروائية، التي يبرز فيها اغتراب الشخصيات بسبب الظروف الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والسياسية وغالبا ما تتداخل هذه الظروف في حياة الشخصية، لكننا سنحاول التقسيم حسب ظهور النوع الأكثر في الروايات. وسنتناول عتبات الاغتراب ومن ثم الأنواع: الاغتراب العاطفي، والاغتراب الفكري، والاغتراب الاجتماعي في الروايات العربية الحديثة: (أحاسيس في المنفى) للروائية أسمى الزهار، و(قبعة الزهايمر) للروائية سوزان دروزة، و(غريب في لندن) للروائي جمال حيدر، و (باب الدروازة) للروائي علي لفتة سعيد.

عتبات الاغتراب تعد عنوانات النصوص الأدبية نقطة ارتكاز في صيرورة هذه النصوص، فالعنوانات هي أول ما يطالعه القارئ في النص الروائي، وإذا كان جاذبا توقف عنده القارئ واستدعاءه لقراءته. ويشكل العنوان إحدى بنيات النص الروائي، فهو بنية صغرى تتصدر البنية الكبرى للنص وتتغذى عليها، فالعنوان بنية افتقار تغتني بمتن المادة الروائية، التي تتصل بها، وتؤلف معها وحدة على المستوى الدلالي غير منقطعة عن النص، ولا تدرك إشاراتها إلا عبر العلاقة بينهما (عبد الوهاب ، ١٩٩٥، صفحة ٩)، وهكذا ((يتحول العنوان من مجرد ملفوظ عابر إلى ملفوظ يشكل نبراسا يضيء طريقة الكتابة ويشير إلى ما هو آت. إنه مادة تذكي ألق الإيحاء بكل ما هو محتمل، وتضفي عليه نفحة الإشراق فيغدو العنوان...لغة الصور الشعرية، ولغة الترميز والأقنعة، ولغة النطق الباطنية في الذات الإنسانية)) (اشبهون، ٢٠١١، صفحة ١٢٧)، ويرى (جيرارجينيت) أن العنوان الرئيس يبقى ضروريا لنظام العنونة؛ لأنه من العناصر الأساسية للثقافة الحديثة، ولا يكون متصدرا وحده، لكن يصاحبه العنوان الفرعي، الذي يأتي شارحا ومفسرا للعنوان الرئيس. والجمهور المعاصر صار أكثر ميلا إلى الإيحاء الأسلوبي للعنونة بدلا من التعبير

التقني عنها، الذي بدأت مكانته تتزحزح أمام العنونة الإيحائية. وقد أشار إلى أربع وظائف أساسية للعنوان : التعيينية، والوصفية والإيحائية والإغرائية (بلعابد، ٢٠٠٨، الصفحات ٦٨ ، ٨٣ ، ٨٦-٨٨) ، ويبقى العنوان منجزا لغويا له مفرداته وتراكيبه المختزلة، التي تمنحه الاستقلالية والتفرد وتسمح له بخلق إطار شامل للرؤية الفكرية والمعرفية والجمالية، إذ تتنوع صياغة العنوانات من الدال المفردة، إلى الجملة بأنواعها (درمش، ٢٠٠٧، صفحة ٤٣،٤٧)، وعليه ظهر العنوان المفرد، والعنوان المركب، فالعنوان المفرد الذي يتكون من دال مفردة، والعنوان المركب الذي تتعدد الدوال فيه، وتتسع الدلالة وصولا إلى أكبر قدر من الطاقة الإيحائية الشعرية والأسلوبية مما يحفظ للغة تجددها وتمكنها التعبيري الدائم (وتوت، ٢٠١٥ ، الصفحات ٤١-٤٣)، وقد جاءت عنوانات الروايات في نماذج البحث من نوع العنوان المركب كما يأتي جاء عنوان رواية (قبعة الزهايمر) التي تدور أحداثها حول (السيد صادق) و(السيدة هيفاء) اللذين يلتقيان في دار رعاية المسنين (دار الوفاء) بعد أن تظاهرا بالإصابة بمرض الزهايمر، وهما بكامل وعيهما على الرغم من وهن وضعف الجسد بحكم التقدم بالعمر، لكنهما يعانيان من وجع الذاكرة التي تؤرق حياتهما في هذا العمر ولاسيما أنهما يشعران بالوحدة والعزلة والوحشة؛ لاغترابهما العاطفي عما حولهما من الأهل والأبناء والأصدقاء. فهما شخصيتان عاطفيتان لم يستطيعا تحمل الجفاء والجحود والإنكار من الأبناء والأهل لاسيما أنهما قد أخلصا وضحيا من أجل سعادة ونجاح عائلتيهما، وحاولا تأمين مستقبل الأبناء، ولكن يجدان انفسهما وحيدين، وكلّ من حولهما مشغولين بحياتهم الخاصة، لذلك يقرران دخول دار المسنين هربا من وجع الذكريات وألمها، وليس النسيان(الزهايمر) حقيقة الأمر الذي يدعيان. فهذه القبعة هي الذكريات، الموجودة في رأسيهما ويحاولان التخلص منها، وإفراغها في الدار عن طريق التحدث، وحكي كلّ منهما إلى الآخر حتى يشفى من ألم الذكرى كما في قول السيد صادق: ((خلع قبعته، ووضعها جانبا، اقترب من المرآة بحذر وكأنه يخشى أن يباغته شخص لا يعرفه، ابتسم، ثم ضحك بلا صوت...اقترب من المرآة أكثر: كم من الوقت مضى لم نلتق... أصلا أنا لم أكن أريد رؤيتك، أريد أن أنسى وجهك، ورأسك وذاكرتك، وكل ما فيك، ابتعد عني)) (دروزة، ٢٠٢١، صفحة ١١). فالنسيان يمثل الخواء واللاشيء مقابل الذاكرة التي تمثل الامتلاء والحياة، ويعد ((النسيان آلة مدمرة تفتك بالذاكرة وتحيلها إلى صفحة بيضاء نسيان مرحلة من الحياة هو فقدان الاتصال بمن يحيط بنا)) (الداهي، ٢٠١٣، صفحة ٢٠٦)، و كلا الشخصيتين قررتا النسيان وعدم التواصل مع الآخرين من أجل تحقيق السلام لروحهما بعد أن شعرا بعدم جدوى أمل الانتظاروفي رواية (أحاسيس في المنفى) جاء العنوان معبرا عن شخصية(دلال) فالعنوان حقيقة معرف وهو (أحاسيسي في المنفى) وهذا يتضح بعد قراءة النص الروائي. ومجيء العنوان بصيغة النكرة يفيد التعميم لكلمة (أحاسيس) ففي هذا الأمر جمال اللعبة الفنية الإبداعية بدعوة القارئ للبحث عن هذه الأحاسيس والمشاعر، ومعرفتها سواء كانت في متن الرواية، أو في ذات القارئ. وكلمة (المنفى) دلالة على الإقصاء المتعمد والبعد المكاني. و(دلال) هي المرأة المثقفة والمتعلمة والجميلة التي تحمل أجمل الأحاسيس لكلّ ما يدور حولها، ويؤذيها عدم التوافق مع محيط أسرتها، ولاسيما مع أفكار شخصية (الأب) المتسلط الذي لا يبالي بالمشاعر والأحاسيس في تعامله مع الناس، ولا يستثني عائلته من هذا الجفاء العاطفي. وقد حاولت (دلال) الابنة الوحيدة لهذا الرجل أن توقظ الأحاسيس والعاطفة بداخله، لكنه دائما يواجهها بقسوة أشد فكلّ ما يشغله هو نجاح أعماله التجارية وزيادة الأرباح والمكاسب بالطرق المشروعة وغير المشروعة حتى تسبب بمقتل صديقه العم (سامي) وتحولت ابنته الوحيدة إلى سلعة يحاول الإفادة منها بتزويجها من رجل أكبر منها سنا لزيادة ممتلكاته وأرباحه: ((أصحاب الأموال الطائلة لهم حدود خاصة وشخصية جدا...حتى وسط عائلاتهم ومع أقرب الأشخاص إليهم... وبينما كانت عينها اليمنى تبكي عمها سامي...كانت عينها اليسرى ترثي لحال والدها صاحب القلب الأعمى الذي يقبع في مكان مظلم يظنه الأجمل... وتواصل مسارها العاطفي نحو الدمار ككوكب منفي هارب من المدار)) (الزهار، ٢٠٢١، صفحة ٣٧).هذه الأزمة الفكرية واختلاف توجهات (دلال) عن أفكار والدها خلق لديها أزمة نفسية مستمرة في كبت مشاعرها وعواطفها، وحتى أفكارها في سبيل نيل رضى الوالد، الذي يغرقها بأعماله التجارية ويبعدها عن ممارسة اهتماماتها الأدبية، ويتحكم بمشاعرها ويدمر أحلامها من دون شفقة وبلا وازع من ضمير، ويجعلها تنفي أحاسيسها بعيدا عنها، وتتهرب من التفكير بمشاعرها :((لقد كانت دلال تشعر دائما أنها مقيدة ومحاصرة... لا تملك من الحرية إلا اسمها أو القليل مما تبقى منها...ثروة أو لعنة جعلتها تنفي أحاسيسها؛ لأن والدها لا يقبل إلا رجلا يفوق ابنته ماديا لكي لا يكون الخاطب الطامع، وتكون هي الكنز الثمين الذي وجده أو الذي عاش طوال حياته يحلم به)) (الزهار، ٢٠٢١، صفحة ٩٦). وفي محاولة استعطاف والدتها لمساعدتها على تغيير رأي والدها في الشخص الذي اختارته وتصوير مقدار الألم والحزن، الذي تعانيه في نفي الأحاسيس: ((أكلمك عن أحاسيسنا التي ننفيها من موطنها الأصلي... نبعدها عن قلوبنا ظنا منّا أن القلوب خلقت فقط كي نعيش نحن لا لكي تعيش هي وتكبر بقوة مشاعرنا واختلاف درجاتها وحتى ضعفها ومعاناتها)) (الزهار، ٢٠٢١، صفحة ٧٩) كما تصور أهمية هذه الأحاسيس والمشاعر في الحياة الإنسانية السوية، والمتوازنة لدى الأفراد . ونجد أن مفردات الأحاسيس والنفي وكلّ صور معانيها تتردد بكثرة في النص الروائي وتسجل حضورا في الخطاب مما يؤكد أن العنوان يشكل

البنية الصغرى المتغلغلة في بنية النص الكبرى (الزهار، ٢٠٢١، صفحة ٦٩ ، ٧٣ ، ٨٥ ،٨٩ ، ١٠٠)يمثل عنوان رواية (غريب في لندن) خبرا لمبتدأ محذوف مما يستدعي من القارئ سبر أغوار النص الروائي لمعرفة من يكون هذا الـ(غريب)، ولاسيما أن النكرة تفيد التعميم. ونجده في متن الرواية وهو (عزيز) ومجموعة الغرباء الذين يسكنون فندقا في لندن، وهم يعانون الغربة المكانية والاغتراب النفسي، فأغلبهم محرومون من التواصل الاجتماعي، ويعيشون الوحدة والعزلة منكفئين على أنفسهم، ويجترون ذكريات الماضي التي تفقدهم حاضرهم ومستقبلهم. ويعد (عزيز) الشخصية الرئيسة في الرواية، وهو الغريب العراقي الذي وصل إلى لندن بعد رحلة هجرة طويلة وشاقة، وبعد وصوله اكتشف الجفاء الذي تحمله لندن إلى الغرباء، فهي تزيد آلامهم وتضعهم على هامش الحياة، وفي هروبه من وحدته وعزلته في الفندق، يلجأ إلى السير هائما في الشوارع والأزقة حتى ينخرط في تجمعات البشر وضجيج الحياة، ويضيع بين الكتل البشرية المتزاحمة في محطات القطارات والشوارع ويمر بأماكن كثيرة منها: حي كنغز كروس، وشوارع يورك وي، وغودز وي، وبنكراس وغيرها ليكتشف غربة أكثر في داخله، فهذه الأماكن يسير فيها من دون جاذبية وعاطفة، فهو يشعر بضخامتها الغريبة التي تفترسه وتلفظه إلى البعيد ولا ترغب به: ((حيث ينكسر الصمت على وقع أقدامه وهو يخطو وحيدا على الأرض المفروشة بالمطر. صمت غامض وكائنات موزعة على المنازل المتراصة الغارقة في سباتها... وأعمدة الضوء المتباعدة التي تصنع أشباحا خرافية لأجساد العابرين " أنا غريب وزائد في هذه المدينة الصامتة حتى الوجع")) (حيدر، ٢٠٢٣، صفحة ٤٦)، ويصف هذه المدينة بالسادية، التي تتلذذ بعذابات الغرباء فهي تستقبلهم، وفي الوقت نفسه تتبذهم وترميهم في الفنادق الرخيصة، وبمساعدات اجتماعية لا تحقق لهم الاكتفاء والأمان، بل تترفع أمامهم وتمنحهم مزيدا من الجفاء والوحدة وضياع الأحلام حتى تهمشهم، وتحشرهم في زوايا النسيان والجنون يحمل عنوان رواية (باب الدروازة) دلالة مكانية ومعناه (الباب المفتوح) فهي إحدى مناطق مدينة الكاظمية ذات الطبيعة الاجتماعية الدينية. وأن اختص عنوان الرواية بمنطقة باب الدروازة فهذا الأسلوب من الصيغ الفنية في الإبداع الروائي، فقد جاءت تسمية الخاص ليعبر عن العام في محيط هذه المدينة، حيث تتحرك الشخصيات، وتعمل وتسكن، وتتعبد وتصارع تقلبات الحياة الاجتماعية والسياسية، ولعلاقته المباشرة بأحداث الشخصية الرئيسة (خلاوي) هذا الفتى المراهق، الذي ينتقل من محافظة الناصرية الجنوبية إلى العاصمة بغداد ويتوجه إلى مدينة الكاظمية، ويسكن مع أخيه وجدته، فكأن دخوله عن طريق هذا الباب، يمثل عتبة انتقالية ما بين ماضي الشخصية في المحافظة حيث البيت والأصدقاء والمرح واللهو معهم وحاضرها في مدينة الكاظمية إذ تدخل الشخصية عالما جديدا مسكونا بالتناقضات والزيف والخداع والخوف، الذي ينتقل إلى روحه ويطارده بأشكال الكلاب وأصواتها ويجعله منهكا ومتعبا، ويقع فريسة الاغتراب النفسي والغربة المكانية:((أن باب الدروازة هو المكان الذي يمكن أن يوصله إلى العالم أو يحصره في عالم آخر، ربما هو شعور أو تحليل غريب لكنه آمن به)) (سعيد، ٢٠٢٢ ، صفحة ٤٢) . ويتحقق معنى المكان في حياة (خلاوي) فهذا الباب المفتوح ادخله إلى عالم القلق والخوف، والحرب والموت، وحصره في عالم الاغتراب النفسي والمكاني، ولم يدخله كما تمنى إلى عالم يحقق له أحلامه بالدراسة والمعرفة.

أنواع الاغتراب:

أولا: الاغتراب العاطفي : تدور أحداث رواية (قبعة الزهايمر) حول اغتراب السيد (صادق) العاطفي بسبب أزمة فقدانه حب الشباب، فقد تعلق في شبابه بفتاة جميلة، وعاش معها قصة حب بريئة على الرغم من الظروف المعيشية الصعبة لعائلته، فقد شارك (صادق) المحب لأهله بتوفير احتياجات الأسرة والبيت حتى اضطر إلى الاشتغال في أعمال كثيرة ومتنوعة بما يحقق له التوازن بين العمل والدراسة تنفيذا لرغبة والديه في إتمام تعليمه وفي عنفوان الشباب تعلق قلبه بفتاة جميلة أحبها كثيرا تدعى (ريهام) من طبقة غنية ميسورة الحال: ((إلى روحي ريهام الأمل الذي يصبرني على ما يمر بي، ريهام حلم لن أتخلى عنه، سأسعى بكل ما في وسعي لنكون معا، ريهام أول حب في حياتي، ريهام سيدة قلبي ومليكة عرشي، أصبحت... الحبل السري الذي يصلني بعالم مليء بالنظافة والحب والرومانسية)) (دروزة، ٢٠٢١، صفحة ٩٥) ، لكن والدتها كانت لهما بالمرصاد، واستطاعت التفريق بينهما مستغلة سفره للعمل في السعودية، وأجبرت ابنتها على الزواج من أحد أقربائها في أمريكا والهجرة معه، وبعد عودته إلى الأردن لم يجدها اختفت (ريهام) وتركت أثرها في روحه جرحا ينزف، وحلما لم يتحقق، ووعدا لم ينجز، وما يخفف صدمته معرفته أن (ريهام) حاولت الاعتراض ورفض هذا الزواج، لكن والدتها لم تعطها فرصة الاختيار. هذا العشق والحب الكبير لم يكلل بنهاية سعيدة، بل ترك (صادق) حزينا ووحيدا ومنسحبا من الحياة، وأغرق نفسه بالعمل واعتزل الحياة الاجتماعية: ((ريهام، يا أول حب... وأول أوجاعي... يا ندبة سكين ستبقى آثارها كلما نظرت في مرآة حياتي... سأودع قلبي، وسأودع العواطف، سأودع الإخلاص. فبعدك لا عهدا أوقعه...ماتت الحياة في صادق، ومات كل ما هو صادق)) (دروزة، ٢٠٢١، صفحة ١٣١)؛ ولأن طبيعة شخصية (صادق) عاطفية حساسة، صار فريسة سهلة للاغتراب العاطفي فقد جعل من حبه لـ(ريهام) سجنا يحاصره، ويحكم عليه طوق الألم والوجع، والوحدة في الغربة حيث عمله في السعودية. وبعد انقضاء عامين على

مأساته العاطفية، قررت عائلته التدخل ومحاولة الضغط عليه للزواج وبدء حياة جديدة، واختاروا له فتاة من عائلة محترمة وعلى الرغم من تحفظه على شخصية (عائشة) لكنه كان يأمل بأن تتغير بعد الزواج:((ما يؤرقني سطحية عائشة فهي مهووسة بالملابس والطبيخ، والأدوات المنزلية، لا أذكر أننا تحدثنا في شيء له علاقة بالثقافة أو بتربية الأولاد، أو بحقوق الزوجين، أو بمشكلة واجهتها وتغلبت عليها، كلّ ما يشغل رأسها الآن شعرها، فستان العرس ولون المناكير...أهون على نفسي بأن الأمور تتغير بعد الزواج، وأن تصبح أكثر وعيا كما تقول النساء صاحبات الخبرة)) (دروزة، ٢٠٢١، صفحة ١٣٩) لكنها لم تتغير، ولم تبذل جهدا من أجل فهم شخصية (صادق) العاطفية والحساسة، فهي بطبعها امرأة مادية متطلبة لا تأبه بالحب والمشاعر والألفة مما دفعه إلى التقوقع على ذاته، والتظاهر بالحياة السعيدة؛ لإخفاء حقيقة اغترابه وانعدام التواصل العاطفي مع زوجته، وصارت روحه تلجأ إلى تذكر مشاعر حبه وعشقه لـ(ريهام) وازدادت الفجوة مع زوجته حتى بعد أن رزق بثلاثة أولاد منها علمتهم الأنانية والجفاء في المشاعر، واقتصر دوره على تمويل الزوجة والأولاد بوسائل الراحة والترف من دون الانتباه إلى ما يعانيه من مشقة وتعب في سبيل ذلك، ولأن (صادق) عاطفي كان ينتبه إلى هذا الجانب، لكن زوجته تتمادى في التغاضي عنه، وأصبحت الحياة رتيبة ومملة بينهما، وهو يتوق إلى الحب والمشاعر (دروزة، ٢٠٢١، صفحة ١٤٤) ودفعته إلى التفكير في الابتعاد عن المنزل، ولا سيما بعد أن عُرض عليه إدارة فرع الشركة في (مدينة جدة) ووجدها فرصة مناسبة للهرب من نفسه، التي تتوق إلى ذكريات الحب المفقود، والابتعاد عن أجواء الوحدة والعزلة في منزله، والانشغال بعمله الجديد الذي يتطلب منه البقاء بعيدا عن العائلة، ولاسيما أن شغف (صادق) بالعمل وتحقيق النجاح فيه، يشكل تحديا أمام خسارته لمشاعر الحب والعشق التي يحلم بها. وفي رحلة العمل الجديد تمكنت امرأة جميلة من استمالته، واستغلال جفافه العاطفي ونجحت في توطيد علاقتها به، فكانت زوجته الثانية السيدة (مها) شخصية مثقفة ومتعلمة. وفي بداية زواجهما، عاش معها الحب الجميل ونال الاهتمام والعناية، والرعاية ومشاركة أموره كلها، حتى اكتشفت زوجته الأولى هذا الزواج وتغير الحال، وكذلك لم تكن الزوجة الثانية ارحم منها، بل تحولت إلى إنسانة شرسة وأنانية، ولاسيما بعد أن رزق منها بولدين. وصار يعيش في جحيم علاقات زوجية فاشلة، تخلو من المودة والرحمة زادته اغترابا ووحشة وبؤسا، وفقد السكينة والسلام في حياته (دروزة، ٢٠٢١، صفحة ١٥٧) فقرر الانسحاب والعودة إلى حضن الأسرة في الأردن، بعد أن طلق زوجته الثانية التي احتفظت بالولدين، وعاد بصحبة زوجته الأولى وأولادهما. ولم يجد السلوى والأمان إلا مع أخته (ثناء) بعد رحيل والديه، فقد كانت تحمل حنان الأم وعاطفتها، وهي المعطاة لهذه الأسرة، فقد شاركت (صادق) مسؤولية إعالة أهلها، واشتغلت في الخياطة وتطريز الأثواب الفلسطينية:((لم يكن في عمان ما يثلج صدري ويخفف من آلامي غير ثناء... كانت اذا عرفت بمقدمي أكرمتني وعاملتني كما يعامل السلاطين، تجتهد لإعداد أطباق (أم فهمي) أمي الغالية، تقبل رأسي ذهابا وإيابا كأنني طفل، تغمرني السعادة بهذا الحنان، تعيد إلي صباي ونشاطي...ثناء من رائحة أمي وأبي)) (دروزة، ٢٠٢١، صفحة ١٥٨) وتشاء الأقدار ويفجع بوفاة أخته (ثناء) ملاذه الأخير في مداواة اغترابه العاطفي، ويبكيها كالأطفال اليتامى، وتزداد عليه الوحدة والعزلة حتى وصل إلى مرحلة كرهه رؤية نفسه في المرآة دلالة على تمكن الاغتراب منه، واستسلامه وصار يأنس بوحدته وانعزاله في المزرعة. وبعد تدهور حالته الصحية أوصى حارس المزرعة بحفر قبره في البقعة، التي كثيرا ما كان يجلس والداه فيها بحثا عن عاطفة وحب يفتقدهما في أيامه الأخيرة (دروزة، ٢٠٢١، صفحة ١٦٤، ١٦٥) . ومن ثم يلجأ إلى دار رعاية المسنين (دار الوفاء) بحجة مرضه بالزهايمر ونسيانه كلّ تفاصيل حياته للإمعان في الاغتراب واستسلامه بانتظار الموت والخلاص من ألم الوحدة والعزلة:((مكان غريب، وأنا غريب، هذا ما أريده، فرغت الحياة من الحب، ومن الأوفياء، يهرب الناس من الموت، وأنا أنتظره بفارغ الصبر)) (دروزة، ٢٠٢١، صفحة ١١). ، لكن الذاكرة كانت تؤرقه وترهقه، ويرى شفاءه في إفراغ الذاكرة بالحديث مع السيدة (هيفاء) التي لم تجد مانعا في الاستماع إليه، ولاسيما أنها تحمل من الوجع والألم، كما يحمل وتسعى إلى التخلص من وجع التذكر بالحديث إليه عن ماضيها، وبانتهاء سماع حكاية كلّ منهما إلى الآخر، واعتقادهما بالشفاء من وجع الذاكرة، ينهار السيد (صادق) فجأة بالبكاء خلال جولته مع السيدة (هيفاء) وابنها في المدينة عند رؤيته أماكن الشباب التي عمل فيها، وشوارع الحب، فهاجت في نفسه الذكريات أشد إيلاما مما يؤكد((أن العاطفة هي قلب الذاكرة الصامد إذ يمكن للمرء أن تغيب عن ذاكرته أحداث معينة لكنه لا يستطيع أن ينسى سلسلة الأحاسيس)) (الداهي، ٢٠١٣، صفحة ٢٥٧)، التي مرّ بها. ويجدد السيد (صادق) عهد الحب والوفاء في نفسه :((يحدّث صادق نفسه وهو مكبل بالأحزان وقد ألقى برأسه على كتف نفسه: لن أنساك يا ريهام، أنت وجع ذاكرتي... طبت وطابت ذكراك وأكيد سيبقى حبك شكلا ثانيا، يا حبيبة شبابي، و يا حبيبة شيخوختي و يا سبب شقائي)) (دروزة، ٢٠٢١، صفحة ٢٢٦)، وبهذه المشاعر الجميلة الحافظة للود والمحبة، يفارق الحياة السيد (صادق) بعد أن ترك وصية تشير إلى وجود قبره في مزرعته في كفر هودا تدور أزمة اغتراب شخصية السيدة (هيفاء) في رواية (قبعة الزهايمر) حول اكتشافها حقيقة الرجل الذي تزوجت به بعد تخرجها من كلية الصيدلة، فقد تنازلت عن حريتها وإرادتها، وخضعت لضغط والدتها على الرغم من عدم قناعتها بهذا الارتباط إذ تزوجت حسب التقاليد بشخص لا

يشبهها: ((كان منير مثالا للرجل غير المثقف، متعلم تافه، يفتقد للباقة والكياسة في التعامل مع الأنثى، منسوب الرومانسية لديه صفر، أكثر ما أحبّه في حياته هو نفسه، محاسب يفرط في حساب كلّ شيء، ولو كان الهواء له فاتورة اذًا لكان أول من اختنق)) (دروزة، ٢٠٢١، صفحة ١٨٤) حتى في مصاريف العرس والزواج، كان مقتصدا بطريقة تسيء إلى مشاعرها وأحلامها ففي سفرتهما في أثناء شهر العسل إلى بيروت لم تشعر بالسعادة معه، فقد كان مهموما بالأسعار والبحث عن الأشياء والمطاعم الرخيصة، فيما كانت السيدة (هيفاء) تغرق في مراقبة سلوكياته، وتستاء أكثر لأنه بخيل عاطفيا وماديا مما جعل الحياة معه في غاية الصعوبة، وهي الفتاة الجميلة التي كانت تحلم بجمال الحياة الزوجية معه، ولم تستطع الطلاق منه بسبب رفض أهلها لهذه الفكرة واستسلامها للخوف من التقاليد، واستمرت حياتها في هذا الزواج من دون عاطفة وبمشاعر مغتربة عنه، وانشغل تفكيرها في تربية ولديهما، وانطوت على نفسها وعملها من أجل التكفل بمصاريف البيت والأولاد؛ لأن زوجها البخيل يرفض توفير الاحتياجات الضرورية لهم، ولاسيما بعد سفره إلى الكويت للعمل وزيادة مدخراته في المصارف، وتزداد غربتها ووحشتها معه:((خطر ببالي أن دراسته للمحاسبة جعلته أسيرا للأرقام، وكثرة الحسابات جعلته يحسب كلّ شيء بزيادة، حتى عواطفه، وعطاءه للحب، لم أسمع منه كلمة تثلج صدري كامرأة، لم يتغزل بي يوما لأتذكر له ذلك، لقد عشت معه متعطشة لكلمة حب، أو هدية أو دعوة)) (دروزة، ٢٠٢١، صفحة ١٩٤) ولتستمر هذه الحياة توقظ ذكرياتها بحب المراهقة للصبي(وليد) الذي كان غيورا وشديد الحرص عليها والاهتمام بها، ويكنّ لها أجمل المشاعر لكنه انسحب من حياتها بسبب ظروفه الخاصة، وعلى الرغم من اندماجها مع الآخرين إلا أنها لم تكن تفصح عما تعانيه من وحدة وألم، وانطوت على نفسها بعزلة لا يشعر بها الآخرون، وبابتسامة مصطنعة تجاري الحياة الاجتماعية:((أعيش الغربة، غربة عن النفس، غربة عن الناس، غربة تصل بي إلى احتراق داخلي لا يشعر باكتوائه إلا أنا)) (دروزة، ٢٠٢١، صفحة ٢٠١) وعلى الرغم من معاناتها مع الإحباط العاطفي ومشقة العمل إلا أنها كانت أمٌ ناجحة حريصة على أولادها، ومستقبلهم وساعدتهم إلى أن أوصلتهم للتخرج من الجامعات في حين أصيب زوجها بخسارة فادحة لمدخراته في المصارف الكويتية بعد أحداث أزمة العراق والكويت، تسببت له بأزمة نفسية وصحية حتى أصيب بجلطة دماغية توفي على إثرها (دروزة، ٢٠٢١، صفحة ٢٠٥)، كما بدأ الشابان يختاران طريقهما: اختار (رامي) خريج الهندسة السفر إلى المانيا، وهذا القرار كان قاسيا عليها؛ لأنها متعلقة به وكانت تعتقد بأنها بعد تعبها ورعايتها له سيتنازل عن رغبته في سبيل إرضائها، لكنه أصر على السفر وتفاجأت والدته بالأنانية التي يحملها، وهي التي كانت تتصور بأنه عاطفي تجاهها في حين اختار (لؤي) خريج إدارة الأعمال الزواج والعمل في شركة مقاولات، وعلى الرغم من سكنها مع ابنها (لؤي) إلا أنه انشغل عنها بالزوجة والعمل، وكانت تبقى وحيدة بالمنزل، وبجسد متهالك يعجز عن تقديم الخدمات في المنزل، وكرهت أن تتحول إلى عبء على حياته، كما أن الملل والضجر سكن روحها، وبدأت تكره النظر في المرآة، فهي لا تحب رؤية انكسارها وأحزانها، لذلك قررت أن تلجأ إلى النسيان وقتل الذكريات والأوجاع لتحيا بسلام، وبدأت تتظاهر بأعراض مرض الزهايمر حتى تقنع ابنها والطبيب المعالج: ((نعم أنه الزهايمر أنا أريدهم أن يصلوا لهذه النتيجة، الزهايمر يجتاح ذاكرتي، أريد أن أنفصل عن هذا العالم، أريد أن تموت ذاكرتي، وأن يموت قلبي، سأكون الأوفر حظًا أن نسيت...الوحدة تجتاح ثنايا عقلي وقلبي، يطوي الوقت الأيام المملة التي أعيشها، الأرق يعبث في عقلي ويزاحم النوم ليفارقني، الخوف يفترس طمأنينتي خنقتني الوحدة وغياب رامي وانشغال لؤي)) (دروزة، ٢٠٢١، صفحة ٢١٣) ويضطر(لؤي) إلى إدخالها إلى دار رعاية المسنين (دار الوفاء) وهي تعيش بالدار متظاهرة بالزهايمر، ونسيان ولديها وأحداث حياتها، وتمضي وقتها بالقراءة لكنها تجد في نفسها الرغبة في التحدث للشفاء من عبء ذاكرتها فتخبر السيد (صادق) بالماضي الذي أتى بها إلى الدار، ومرارة الإخفاق في الحياة مع الأحبة، وضياع الوفاء لديهم. وصار (دار الوفاء) هو دار الأشخاص الأوفياء، الذين خانتهم مشاعرهم، وإيمانهم بالآخرين الذين خذلوهم فاختاروا الهروب، والانسحاب تحت قبعة الزهايمر.

ثانيا: الاغتراب الفكري تدور أحداث رواية (أحاسيس في المنفى) حول شخصية(دلال) التي تعاني الاغتراب الفكري مع عائلتها ولاسيما مع شخصية (الأب) المتسلط، الذي يرفض سماع الآخرين وينصت إلى صوت طمعه بالثروة والجاه من دون نظر إلى رغبات المحيطين به لاسيما ابنته(دلال) التي حارب طموحاتها الأدبية، وأجبرها على دراسة الاقتصاد الدولي:((كان حلمها أن تصبح كاتبة كبيرة لكنه وقف في وجهها وأقفل كتاب أحلامها قبل أن تتصفّحه أو حتى تعرف محتواه ودون أن يأخذ برأيها ويستشيرها، وجدت نفسها جالسة بين طلّاب معهد الاقتصاد الدولي لتدرسه مكرهة.. مرغمة)) (الزهار، ٢٠٢١، صفحة ١٣) وعلى الرغم من تفوق (دلال) في إدارة أعمال والدها، ومظهرها الذي يوحي بالقوة إلا أنها تعاني قهرا وكبتا داخليا، وكثيرا ما كانت تبكي وحيدة بسبب طريقة والدها الجافة في التعامل مع مشاعرها وأفكارها:((انحدرت دمعة من على خدّها.. ففتحت حقيبتها لتأخذ منديلا، فإذا بهاتفها يرنّ مرة أخرى...إنه والدها...أقفل الهاتف قبل أن تكمل جملتها.. ليس لديه وقت كثير. وقته بالنسبة إليه ثمين وحتى أثمن من ابنته)) (الزهار، ٢٠٢١، صفحة ١٣ ، وينظر: ١٤) فهي تملك شخصية عاطفية تؤمن بالأحاسيس والمشاعر،

وضرورة التعبير عنها، لكنها تجاري رغبات والدها، وتكبت طموحاتها من أجل الفوز برضاه ومداراة أحلامه، وطمعه بالثروة وتوسيع أعماله التجارية على حساب مشاعرها وعاطفتها. وتبقى (دلال) شخصية حزينة بداخلها؛ لأنها لم تملك حرية الاختيار فهي موجهة من قبل والدها، ومسلوبة الإرادة، وكثيرا ما كان والدها يقسو عليها، ويلومها بشدة من أجل إدارة الشركة: ((انصرفي عن وجهي... لدي أعمال أخرى أنجزها، خرجت دلال من مكتب والدها تبكي من القهر وتنزف... لقد كان قاسيا معها بشكل لم تألفه من قبل... هي تعلم حب والدها وشغفه بالعمل لكنها لم تكن لتدري أنه سيكون سيئا معها بهذا الحجم)) (الزهار، ٢٠٢١، صفحة ٢٣) وفي سبيل إرضاء والدها لم تستطع أن تحظى بأصدقاء حقيقيين تلجأ اليهم في أحزانها، فهي وحيدة: ((لم تنل من ثروة والدها سوى أصدقاء مزيّفين وأعداء يحترفون الإساءة... وآخرون كانت تظنّهم في زمن ما أوفياء لكنهم مخادعون والأقسى من كل هذا هو من تعيش من أجل عينيه لكنك عندما تموت... تموت على يديه)) (الزهار، ٢٠٢١، صفحة ٢٤) وأحيانا تستبد بها الوحدة والوحشة، فتعيش جنون اللحظة منادية اسمها بنفسها:((تعلمت كيف تنادي اسمها بنفسها وتقول نعم كمجنون نادر ...تعلمت كيف تسد أبواب الغدر في منازل من تحبهم وتترك لهم متعة إيذائها بخيانتهم وتسمح لقلبها بالعفو والغفران لهم)) (الزهار، ٢٠٢١، صفحة ٨٠)(دلال) وحيدة أبويها لكنها تشعر بالاغتراب بينهما؛ لأن أفكارها على خلاف أفكارهما، فوالدها غارق في عالم الأموال والأرباح، وأمها إنسانة متواضعة لم تملك فرصة التعلم والمعرفة، فقد حرمها جدها من التعليم بسبب العادات والتقاليد الاجتماعية المتخلفة، التي لا تنصف بين الرجل والمرأة، فالحقوق تكون كاملة للرجل وناقصة للمرأة (الزهار، ٢٠٢١، صفحة ٢٩) ولم تستطيع التواصل مع والدتها من أجل خلق حالة متوازنة في محيط أسرتها، ومواجهة السلطة المطلقة لعقلية والدها. ومن خلال أمها ومأساتها في فقدان حقوقها أمام طاعة الأسرة والتقاليد البالية، تشعر (دلال) باغترابها الفكري مع المجتمع، الذي لم ينصف النساء: ((نعم... في ظل الأمية والجهل كلّ الأخطاء العائلية مسموح بها... أن تهان المرأة وتجرح وتكسر ولا تجد صدرا حنونا يؤويها ويدا تربت كتفها بكلمة عطف صادقة... فهذا عادي جدا...اغرورقت عيون دلال ووجدت نفسها بدلا من أن تجلس قبالة أمها على الطاولة تواجه إحدى القضايا العالقة بهذا المجتمع)) (الزهار، ٢٠٢١، الصفحات ٣١-٣٢) وفي نقاشها مع عمها رجل الأعمال حول مسألة هجرة الشباب غير الشرعية، ورفضها مجازفتهم بعبور البحار من أجل أوهام الثراء والحرية:((أقصد أولئك الذين نسمع عنهم كلّ يوم ونشاهدهم في التلفاز... يقطعون البحار والمحيطات بزورق صغير للموت رغبة في الحياة... في الماديات، في الرفاهية العمياء، مخلفين وراءهم أكباد أمهاتهم تحترق خوفا عليهم... وشوقا إليهم)) (الزهار، ٢٠٢١، صفحة ٤١) وتختلف وجهة نظرها عن عمها، الذي يناصر هؤلاء الشباب بحجة الفقر والأمل بمستقبل أفضل لهم. إذ يبقى الوضع الاقتصادي المحرك الرئيس في ظاهرة الهجرة، التي برزت في المجتمع العربي منذ أواخر القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين، وكذلك تأثير العوامل السياسية والاجتماعية والثقافية (ابو فلغة، ٢٠٢٢، صفحة ١) وطبيعة المجتمعات العربية، التي بدأت تخلق أجيال مغتربة عن أوطانها بسبب ضياع أحلام أغلب الثورات العربية وعدم تحقيق سمات المجتمع الإنساني المتكامل، بل ازدادت نكوصا وارتدادا الى التقاليد والأعراف المتخلفة، لكن (دلال) تستمر في دفاعها عن وجهة نظرها أملا في الإصلاح وتقدم الجزائر، فهي ترى الأوطان كالأمهات، والفقر الحقيقي يتجلى بالتخلي عن الأمّ والأهل، والأرض، وتجرع مرارة الغربة، وإهدار الحرية التي جاهد أجدادهم في سبيلها، وتعلّق على هجرة الشباب: ((لماذا يعجز شبابنا عن ممارسة الفلاحة والعناية بهذا القطاع...متى سيعرفون أن أعظم درس في الإسلام هو الأخلاق ويتبعون منهج عبد الحميد بن باديس في تحدياته ضد الجهل والأمية وطمس الشخصية الجزائرية. هل كان لهم أن يحبوا الجزائر كما نحبها)) (الزهار، ٢٠٢١، صفحة ٤٢) وانشغال الشباب بأحلام الثراء، وحياة الغرب جعلهم منقطعين عن وطنيتهم وإيمانهم، وبعيدين عن مبادئ رجال الدولة الحقيقيين أمثال (عبد الحميد بن باديس) الذي سعى إلى تأكيد الشخصية الجزائرية، وإحيائها بشموخ بين الأمم. وكذلك والدها لا يحفل بالوطنية والانتماء وما يهمه إنجاز أعماله، إذ يعلّق على رجل جزائري مغترب في فرنسا: ((أحاسيسه ووطنيته لا تهماني... ما يهمني أن الورقة الناقصة من العقد كانت بحوزته واسترجعتها)) (الزهار، ٢٠٢١، صفحة ٦٤ ،وينظر: ٤٣ ، ٦٥) وتشعر (دلال) بالحزن يتغلغل في نفسها بسبب تقاعس أبناء الوطن وتخاذلهم بخلافها، هي التي تحمل روحا وطنية محبة لبلدها، فهي تعشق الجزائر، وتهتم بقضايا العالم العربي. وعندما تصف (دلال) المحيط الذي تحيا وتعيش فيه، ينكشف حجم الاغتراب الذي تعانيه بسبب تسلط والدها، وتزمته بآرائه ورفضه الحوار، ومناقشة الآخرين، فهو رمز السلطة الأبوية السيء، مما يجعلها تنطوي على ذاتها، وتغرق في عزلتها بالأسئلة الفلسفية أملا في إيجاد الحلول للمشاكل المتغلغلة في المجتمع العربي:((تتبنى أسئلة فلسفية لمخيلتها علّها تجد بعض الحلول لبعض المشاكل العويصة التي تخنق المجتمعات العربية دون أن تقتلها كالعادات والتقاليد البالية...الانحلال الأخلاقي... أمراض النفس بتنوعها...المرأة التي تحولت من إنسان خلقه الله وأكرمه إلى قضية شائكة اختلقها الإنسان وجعلها حدثا... يصعب فهمه مع أنه كان سيكون سهلا لو تمسكنا أكثر بديننا... بإسلامنا... وبمصحفنا الشريف الذي عامل المرأة على أنها جوهرة نادرة ويجب الحفاظ عليها... وحسن المعاملة إليها... ثقافة الاعتذار التي تنقصنا أحيانا))

(الزهار، ٢٠٢١، الصفحات ٥٠- ٥١) فالمجتمعات العربية لم تستطع التغلب على مشكلة التقاليد المتخلفة فيها، وطي هذه الصفحة من دون رجعة، بل ظلت كامنة فيها تظهر كلما سنحت لها الفرصة، وتدفع بأبنائه إلى الاغتراب عن واقعهم، والعيش مكتوفي الأيدي أمام تناقضات تهدد مستقبلهم، وقضية حقوق المرأة في الحياة والمستقبل الكريم، فهي إنسان كالرجل لها من الحقوق ما نصت عليه الشريعة الإسلامية والقوانين الدولية، لكن سوء فهم أصحاب التقاليد جعل من قضية المرأة الحد الفاصل ما بين المدنية والقبلية وفي إلحاح والدها عليها في مسألة زواجها من رجل الأعمال السيد (أحمد) الرجل، الذي يكبرها بـ ٣٥ سنة وكلّ مؤهلاته ثروته ونفوذه وسلطته، ولم يُجد اعتراضها ورفضها لهذه الصفقة:((لم تكن الطاولة يومذاك مخصصة لعقد الاجتماعات... كانت للقهوة فقط..لكنها استحالت إلى حلبة مصارعة كلامية بين دلال ووالدها حول صفقة عمرها، التي يعتبرها هو إحدى صفقاته الرابحة فالسيد احمد أكبر رجال الأعمال وأقربهم إلى السلطة...مصاهرته... ستكون مكسبا عظيما لنمو شركاته واتساع رقعتها الجغرافية بنسبة أرباح لا تقدر بثمن)) (الزهار، ٢٠٢١، الصفحات ١١٠- ١١١) وفي الوقت نفسه رفض والدها الرجل الطيار، الذي اختارته بحجة أنه اقل منها ثراء وقوة، وصادر إرادتها ورغبتها، وأحلامها في اختيار شريك حياتها. وفي مفارقات اللقاء والصدفة بين الرجل الذي تحبه، والرجل الذي اختاره والدها، تجد نفسها في حيرة كبيرة، لكن الظروف تدفعها باتجاه السيد (أحمد) الرجل المحنك الذي يدرك الكثير من أمور الحياة، ويعرف كيفية الفوز بالصفقات، ولاسيما بعد انسحاب الرجل، الذي تحبه سريعا من مواجهتها ومواجهة والدها، وقد استطاع السيد (أحمد) التودد إلى (دلال) وكسب محبتها بالسعي إلى إرضاء طموحاتها الأدبية، ومسايرة مشاعرها الثائرة، حتى أنقذتها الظروف باكتشاف حقيقة والدها والسيد (أحمد)، هذه الحقيقة التي غيرت من مجرى الأحداث، فقد اكتشفت تسبب والدها بمقتل صديقه السيد (سامي) وقبض الشرطة عليه، واكتشفت ديانة السيد (أحمد) اليهودية، وزيف ادعائه لمشاعر الحب والانتماء الوطني، ووجدت نفسها حرة من ضغوطات تدفعها بخلاف رغباتها وقناعاتها: ((وها هي الآن تقف يتيمة في معركة يموت فيها الجميع إلا الحياة.. هي فقط من يعيش على أنقاض الآخرين...هي فقط من يعلن البداية ويشهر بالنهاية.. ويقرر ويخطط ويراوغ ويباغت ويتحدى ويناهض ويفاوض ويتصدى.. هي فقط من ينتصر)) (الزهار، ٢٠٢١، صفحة ١٨٧) وبعد زوال الضغوطات عنها، وقفت (دلال) في لحظة تجلي للانتماء ونصرة الإرادة الذاتية بداخلها، وحققت ما ترغب به وتصالحت مع شخصيتها ذات الميول الأدبية والفكرية، واستقالت من إدارة الشركة وتركت الأعمال إلى عمها: ((وتفرغت للكتابة... رأت الأشياء بأمل جديد ففُتحت لها أبواب الحظ وتمرست هواية الكلمات... أن تكوني كاتبة فهذا يعني أنك جرحت وعانيت وتألمت وواجهت...يعني أنك تحملين بقلبك فائضا من الأحاسيس والمشاعر التي لولاها لما بكت أقلامك كلمات ممتزجة بالعَبرات)) (الزهار، ٢٠٢١، صفحة ١٨٨)فهي تنتصر للإرادة الداخلية، وتمارس نشاطها الإبداعي الخلاق، وتعيش حرية اتخاذ القرار، وإعادة النظر بماضيها الذي تناقشه بوعي اعلى باكتشاف الذات، وادراك قيمة التفرد بعد تجربة استلاب الذات و((تحقق الشعور بالنفس الذي ينبع من ممارستي لنفسي كموضوع لتجاربي أنا، وتفكيري أنا، وشعوري أنا، وحكمي أنا، وفعلي أنا. إن هذا الشعور يفترض أن تجربتي هي تجربتي الخاصة)) (حماد، ٢٠٠٥ ، صفحة ١٢٠) تجربة الحياة الخاصة التي يعيش الفرد كلّ أبعادها بحرية واستقلالية وتفرد هي طريق قهر الاغتراب.

ثالثا: الاغتراب الاجتماعي :تدور أحداث رواية (غريب في لندن) حول مجموعة من الغرباء المهاجرين، الذين يسكنون فندقا في لندن وينهشهم الاغتراب بدرجات متباينة وشخصية (عزيز) هي الشخصية الرئيسة، التي يعصف بروحها الاغتراب ويمزقها وكلّ محاولاتها في الخلاص، وحفظ الذات باءت بالفشل ولاسيما أن (عزيز) عاش الاغتراب النفسي في وطنه وبين أهله، وحرم التمتع بتجربة تحقيق عناصر الوجود الإنساني في الحرية، والإرادة والمسؤولية، إذ فَقَد حريته في السجون، واستلبت إرادته تحت ضغط التعذيب ووجع الاعتراف، وشُللت مسؤوليته نحو المجتمع، و((تحول الوطن في نظر هذه الشخصية إلى فضاء نفسي معادل للسجن، والقهر والانسحاق اضطرت معه... أن تلجأ إلى الهجرة والاغتراب عن وطنها بوصفها الوسيلة المثلى للخلاص من براثن هذا الواقع)) (المدرس، ٢٠٢٠، صفحة ١٤٤) ولشدة قسوة هذا الاغتراب هرب (عزيز) إلى لندن، التي كان يظنها الدواء لروحه الممزقة والمعطوبة، لكنه تفاجئ بغربة واغتراب أشد ولاسيما أنه يحمل كينونة الاغتراب في روحه، ولم يسعَ إلى الشفاء وبعد تفاقم شعور العجز والاكتئاب عنده، وتضاؤل شعور الرضا وغياب السعادة من حياته، يقع فريسة للاغتراب فهو محاصر بسوء ذكرياته في الوطن، وسوء حاله في بلد الاغتراب لندن:((يا كنغزكروس.. يا ملجأ العابرين.. أيتها الحشود المارة.. يا طوفان البشر.. يا غابة من الوجوه الجميلة والقامات الفارعة والسيقان البضة والعيون الزرق والأجساد المحتقنة بالرغبة.. هاذا [كذا] وحيد)) (حيدر، ٢٠٢٣، صفحة ١٠) فـ(عزيز) محاط بازدحام البشر من حوله إلا أنه يشعر بالوحدة والخواء، ولا يجد من يسمع صراخه واستنجاده بالآخرين، فجميع الأفراد مشغولون بحيواتهم بعيدا عن معاناته، فهو الغريب بينهم اللاجئ إلى لندن من وطن يعاني دكتاتورية الحكم والبطش بأبنائه، وزجهم خلف قضبان السجون ودهاليز الغياب: ((تذكر ماضيه ورثى حاله، تذكر أصدقائه الموتى على جبهات القتال بجروحهم البليغة فاغرة أفواهها، تراءوا له وهم يسيرون

محتشدين عراة...تذكر رحلة الأعوام الطويلة الشاقة التي انتهت بلا شيء في وطن يغرق في الهلاك اليومي)) (حيدر، ٢٠٢٣، صفحة ١٣)، وفي سبيل الوصول إلى الملاذ الآمن بعيدا عن الوطن، يقرر عزيز الهروب بعد أن ضاق بالاعتقالات والتعذيب والملاحقات، و بوجع الاعتراف على أصدقائه الذي عصف بروحه بعدما ذاق صنوف الإذلال، والتنكيل على أيدي عصابات الحكم :((تحت ضربات الجلاد اعترف عزيز، كان الألم يعتصر قلبه، وفزعه لا يطاق. ضربات وركلات ورجات كهربائية وقلع أظافر وشتائم بذيئة تسيل من فم المحققين. وإثر كلّ جولة تعذيب يسقط مغشيا على الأرض، ثم يرفعونه ثانية لتبدأ دورة جديدة أخرى)) (حيدر، ٢٠٢٣، صفحة ٢٦ ، وينظر: ٧٥). وبعد رحلة الهروب الشاقة والموحشة، يجد (عزيز) نفسه في بلد غريب بارد، وتعصف بروحه أوجاع الاغتراب، والوحشة في فندق اغلب سكانه من المهاجرين، الذين يعيشون على الإعانات الاجتماعية. ويشعر بالإحباط والخواء في داخله مما يخمد جذوة الحياة والنشاط لديه، ويتحول إلى إنسان خامل بمفهوم (فروم) للخمول أي إنسان فاقد للهدف، وغير مثابر يعتمد في بقائه على سعادة الاستهلاك العشوائي أيا كان نوعه؛ ليشعر بأنه ذو قيمة، وينسيه أزمته الحقيقية في مواجهة الفراغ، والفشل الداخلي لديه (فروم، ٢٠٠٣، صفحة ٦٣) . وفي محاولته الخروج من دائرة الإحباط واليأس، والعزلة إلى النجاة يبحث عن استهلاك الحب والجسد:((الحب.. نعم الحب هو الطريق الوحيد الذي بإمكانه أن يقهر زمني وينتصر على هواجسي ويقودني إلى مغامرة جديدة.. أيها الحب أنا بانتظارك)) (حيدر، ٢٠٢٣، صفحة ١٥) وتتعلق مشاعره بـ(سوزان) الفتاة الجميلة والقاطنة معهم في الفندق نفسه:((احتضنته بذراعها ودفنت وجهه في رقبتها المرمرية...ومرت أصابعها بين خصلات شعره وهي تدعوه للصمت...لتأتي القبلة الأولى وتضع حدًا للدموع...سطرت سوزان كلّ أعوامه على شفتيها الطريتين ووشمت حماقاته عليها)) (حيدر، ٢٠٢٣، صفحة ٤٣) وبعد ليالٍ من العشق والحب والأمان المزيف، يفاجئ (عزيز) بحقيقة (سوزان) فهي فتاة ليل تلبي رغبات الزبائن بعد المساومات وتحديد ثمن الليلة معها، وبمعرفته حقيقتها ينهار الملاذ الذي حاول (عزيز) خلقه في وجدانه، ليواصل الحياة في الغربة والاغتراب، ويعاني مرارة هذه الحقيقة التي تضاعف آلامه وأوجاعه في الغربة، ولاسيما أنه أراد أن يصنع من (سوزان) سلاحا يحميه من الوحشة والعزلة، والرغبة؛ لذلك لم يستطع التخلي عنها حتى بعدما أخبرته عن سوء حياتها الأسرية، وفشلها في إيجاد الطريق الصحيح، وغرقها في مستنقع الرذيلة والدعارة حتى صارت المهنة التي تعيل حياتها البائسة، وصار(عزيز) يخشى مواجهة نفسه، ورؤيتها حتى في المرآة هربا من لحظة إدراك ووعي تمكنه من إنقاذ نفسه، ومنع انجرافه في متاهات الاغتراب. ومن ثم يفاجئ بموت (سوزان) بسبب جرعة زائدة من المخدرات، فخسر الأمان الهش الذي يحتمي به من صقيع لندن، ثم ما لبثت أن أتته الأخبار من وطنه البعيد بموت أمه عندها تيقن (عزيز) بأنه صار وحيدا في هذا العالم، فقد رحلت والدته وتركت له وصية بأن يبقى بعيدا عن وطنه، الذي ضاق بالحريات وتَحوّل إلى سجن كبير، يحاصر أبناءه كما ذكرته بالتعذيب والمعتقلات والمقابر الجماعية، ووجد نفسه ضائعا مشتتا، تعصف به أخبار الوطن:((وصرخ بأعلى صوته: يا أمي في غيابك سيلفحني البرد وأموت متجمدا... بدت له الحياة مفعمة بالخسارات: خسارة سوزان، خسارة أمه، خسارة الحلم، خسارة وطن، خسارة رفاق، خسارة الروح.. تواصلت الخسارات في دوامة الخيبة والانكسار)) (حيدر، ٢٠٢٣، الصفحات ١٥١ – ١٥٢ ، وينظر: ٥٧ ، ١٣٦)، وأصبح محاصرا بقسوة الماضي، ووجع الحاضر، وضياع المستقبل. وفقد الأمل في الحياة وقهرته الظروف المحيطة به، وسحقته حياة الغربة والاغتراب، ووقع فريسة الوحدة والجنون والتمزق، ولاسيما بعد دخول وطنه البعيد بحرب تطحنه وتسحقه من جديد، وتُحوّل أبناءه إلى ضحايا في سماء الحرب، التي استعرت نارها في داخله، ولم ير في العالم غير وجع روحه وأحزانه، التي تضخمت واتسعت، وانصهر بداخلها حطاما لا يرى سبيل النجاة في غد أفضل حتى قهره الاغتراب، وانهزمت إرادته الذاتية وأوهم نفسه بالانتصار في اختيار طريقة موته: ((قررت الموت على طريقتي.. الموت الوحيد القادر على رد الإهانة التي حاصرت كلّ حياتي. سأذهب إلى الموت بكبرياء وسأهزمه بعنادي. عناد مكابر وسأحوّل بعود ثقاب واحد كلّ شيء إلى رماد)) (حيدر، ٢٠٢٣، صفحة ١٥٩)، ويبدو أن تشوش الرؤية عند (عزيز) المغترب وفشله في إيجاد معنى للحياة، وشغف الاستمرار فيها من أجل قضية ما، أو عمل ما وانهزامه في خلق انتماء جديد في بلد اغترابه، أوهمه بفكرة الانتصار في الموت إلى الدرجة، التي كانت نفسه تتوق إلى التألق في الحياة والكينونة فيها، فآثر أن يكون وقع موته مدويا وصاخبا: ((يرفع أعواد ثقاب مشتعلة وينثرها في زوايا الغرفة، بدأت له ألسنة النيران في نسق بديع من الألوان، اندهش لمشهد الأوراق والملابس والأخشاب وهي تحترق... مرت النار بجسده، شعر بلسعتها وهي تتخطاه.. ركض وراء اللهب وحمل الثياب المحترقة ونثرها فوق رأسه وهو يضحك بصخب وجنون وألم صارخا: سأحرق جثتي، وسأرقص على حرائق هزائمي. اتركوني ابتهج لموتي)) (حيدر، ٢٠٢٣، صفحة ١٦٠)وهكذا تتضاعف خسائر (عزيز) في الحياة والموت، ولم يستطع رؤية معنى الوجود فيهما.وهناك شخصيات أخرى تعاني الاغتراب في رواية (غريب في لندن) تسكن الفندق:((تلقي المساءات ظلالا داكنة من الاكتئاب على الفندق ووجوه النزلاء.. حتى خطواتهم تبدو مختلفة. ثمة وحشة يتردد صداها في الممرات والغرف المسورة بالعذاب والحنين. وجوه غيبها اليأس والانتظار. منسيون يخرجون من تجاويف الماضي، أحياء بروح ميتة يجوبون ردهات الفندق

ويطوفون بين ممراته، يندثرون ليلا تحت سقفه، لا أحد يتذكرهم..لا أحد يأبه بهم: لاجئون، مشردون، عاطلون، منفيون، هامشيون)) (حيدر، ٢٠٢٣، صفحة ٥٧) أن روح المكان من روح ساكنيه فهؤلاء الغرباء هم أرواح مستوحشة في لندن، زرعت الوحشة في أرجاء الفندق، واكتفوا بالعيش على هامش الحياة مسلوبي الإرادة غير فاعلين بالمجتمع، ومنكفئين على ذواتهم يجترون أوهامهم، ومن هؤلاء الغرباء (باتيل) الهندي الذي وصل إلى شرق لندن قادما من إحدى القرى القريبة من دلهي، الموظف البسيط في مؤسسة الجمارك بعد أن فشل في تحقيق حلم الالتحاق بجامعة نهرو، ويمتلك شخصية هادئة وصابرة، وقاوم رتابة الأيام في العمل بالمواظبة على قراءة تاريخ بلاده(الهند):((اقتنى بما تسمح به ميزانيته العاجزة على الدوام الكثير من الكتب والمراجع، وغطس تماما في الماضي بعدما رفضه الحاضر... قرأ عن غزو الإسكندر للهند...وانشطار البلاد بعد استقلالها. لم يعر اهتماما لحاضره، بل مضى عميقا في تاريخ بعيد)) (حيدر، ٢٠٢٣، صفحة ٦٢) وجعل من هذه الذاكرة قوقعة، يختبئ بداخلها هربا من مواجهة الحاضر، الذي لم يستطع مجاراته والتأقلم مع أحداثه ومعطياته، وضيق على نفسه فسحة الاندماج في مجتمعه الهندي، ومن ثم انتقل إلى لندن بسبب ظروف زواجه حسب التقاليد والأعراف من إحدى قريباته، وهو مسلوب الإرادة خاضع لرغبة والده وإصراره، لكنه لم ينعم بحياة مستقرة مع زوجته (نيشا) التي رزق منها بطفلين، وبعد تسعة أعوام من هذا الزواج، قررت زوجته الانفصال عنه؛ لأنه لم يحسن الاندماج في هذا المجتمع:((فالفرد في المجتمع الرأسمالي مغترب لأنه يعجز عن الاهتداء إلى ذاته في ظل قوى لا شخصية مجهولة هي قوة رأس المال، وتقلبات السوق)) (حماد، ٢٠٠٥ ، صفحة ١٧٧)، وتخلت عنه واحتفظت بالطفلين معها حتى انتهى به المطاف نزيلا في فندق الغرباء، يعيش على الإعانة الاجتماعية، ويغرق في بحر التساؤلات والتأملات، والألم والصراخ: ((غادر إلى المجهول بعدما اختنق المكان بأنفاس مواجهة غامضة وغير متكافئة. سلك الطريق الذي رمى به في هذا الفندق. استقر الألم في أحشائه، وبدأ يستنشق هواء مشبعا بالنقمة... يصرخ باتيل بصوت مسموع مملوء بالقهر والعذاب محموما من لسعات الزمن، يتنهد ثم يغرق في الصمت، ويطرق مفكرا في الهموم التي قد تأتي)) (حيدر، ٢٠٢٣، صفحة ٦٦) ويزداد اغتراب (باتيل) فهو مملوء بالخيبة والقهر، ومختنق بالخواء والنقمة، وعلى الرغم من اتكائه على بودقة أمجاد الماضي وغرقه فيها إلا أن وجود الطفلين في حياته صار هاجسا ليعيش أيامه في هذا البلد غريبا.ومن النزلاء الرجل الأفريقي (نيثن) الذي يعاني الاغتراب بسبب العنصرية ومشكلة لونه الأسود، ويجد صعوبة في تقبل الآخرين له، والاندماج في المجتمع، ويحمل على عاتقه تاريخ من الحرمان والاستعباد والقهر، والأحلام الضائعة: ((لوني الأسود مصبوغ بلون الأبرياء الذين استعبدوا منذ قرون عديدة، ومهما تدور الأرض وتتغير الفصول سيبقى لوني كما هو، موشوما بأرقام وتواريخ الأسر والحرمان ووجوه العبيد الممهورة بالرغبات المقموعة على أرصفة المدن الكبرى)) (حيدر، ٢٠٢٣، صفحة ٧٧)، لكنه يعيش أوهام الأمل، والطموح بإيجاد الهوية الأفريقية بعد تجمع أبنائها واتفاقهم على لغة افريقية مشتركة على الرغم من صعوبة هذا الأمل، فالأفارقة أنفسهم يتحدثون بلغة مستعمريهم، التي لا تخلو من العنصرية بذاتهاوهناك الرجل البريطاني (ستيف) الذي يغترب عن مجتمعه بسبب ثورته وحياته البوهيمية، وغرقه في خيالات الماضي: ((لم يكف ستيف عن الكلام مستعرضا أعوام الستينات وثورتها الشبابية، لم يكف عن مقارنة الأمس الجميل المتخم بالحلم مع حاضر قاس يصعب استيعابه. يتحدث...عن المواجهات مع الشرطة والضربات التي تلقاها من هراواتهم الغليظة)) (حيدر، ٢٠٢٣، صفحة ٨٤)،فقد رفض (ستيف) الانصهار ببودقة المجتمع من حوله، ورفض المؤسسات التقليدية في المجتمع كالدولة والزواج، والكنيسة ونظام العمل، والعائلة وتبنى الحياة البوهيمية، وصاحب الغرباء وقضى معهم سهرات الليالي، ودخل في التجمعات المناهضة لسياسة امتهان الإنسان، والعنصرية، وفرض الحروب، وسيطرة المؤسسات وتعرية النظام الرأسمالي، وكشف تحالفه مع رؤوس الأموال ضد المواطنين والمهاجرين والمهمشين، الذين يقضون حياتهم في خدمة هذه المؤسسات بأعمال شاقة ومتعبة، تسرق سنوات عمرهم، وتزيد من فقرهم وتعاستهم مقابل زيادة أرباح هذه المؤسسات، لكن (ستيف) مثل غيره من الشباب الثائر لم يستطع كبح جماح التغيير لصالح المؤسسات الرأسمالية، التي استطاعت ترويض المجتمع، والنظام لصالحها فقد:((استوعبت الرأسمالية الشباب في مؤسساتها، دجنت نفوسهم وحولتهم إلى موظفين يحلمون بالحصول على الفتات خشية من الموت جوعا أو تشردا)) (حيدر، ٢٠٢٣، صفحة ٨٧)، ويمثل (ستيف) نموذج الاغتراب بالحرية السلبية، التي تعتمد على مبدأ "التحرر من" وتجعله هدفا بذاته فهي حرية كمية تحرر الإنسان من كلّ الروابط والقوى، وفي الوقت نفسه تجرده من كلّ العلاقات التي تمنحه الانتماء والأمان؛ لذلك غالبا ما تنتهي شخصيات الحرية السلبية إلى العزلة والقلق والوحدة (حماد، ٢٠٠٥ ، صفحة ١٣٠) وكذلك انتهى الأمر بـ(ستيف) نزيلا في فندق الغرباء مدمنا على الخمر ومكتئبا، وقد تحولت ذكرياته الماضية إلى سلوة وعزاء وحصن لروحه المغتربة في موطنها. وميزة هذه الشخصيات المغتربة (باتيل ونيثن وستيف) أنها شخصيات متأرجحة بالاغتراب ومهادنة له بخلاف شخصية (عزيز) التي انصهرت بأزمة الاغتراب حتى قتلته كما أن تعدد صور الشخصيات المغتربة في هذه الرواية يدل على أن الاغتراب هو سمة العصر في المجتمعات الحديثة يتمثل الاغتراب في رواية (باب الدروازة) في شخصية (خلاوي) الرئيسة وهو الفتى الجنوبي، الذي يسكن محافظة الناصرية في سوق

الشيوخ، ويحمل ذاكرة هذا المكان بتفاصيله وعوالمه المحببة إلى نفسه، لكنه يضطر للانتقال إلى العاصمة بغداد ليلتحق بأخيه (سليم) وجدته(أمّ يوسف) ولإكمال تعليمه حيث يسكنان في منطقة الكاظمية، وعند وصوله إلى بغداد لم يكن بانتظاره أحد لانشغال أخيه بالدراسة، فاضطر أن يكمل الطريق وحده حسب التفاصيل التي ذكرها اخوه له، وقد فوجئ بالبنيان والعمران وازدحام الناس في بغداد سنة ١٩٧٨ وشعر بالارتباك والخوف والتعب : ((المهم في تلك اللحظة لا يدري لماذا دقّ قلبه هلعا وأصابه بكل تأكيد الارتباك بسبب خوف مجهول، أو على الأقل لا يدرك معناه.. لم يركض عمره بعد ولم يخرج من سوق الشيوخ، ولم يكن قادرا على مغادرة يتمه المبكر)) (سعيد، ٢٠٢٢ ، صفحة ٧)، ويعد الخوف انفعالا أساسيا في مشاعر الاغتراب، ويكون مقرونا بعدم الأمان مع القلق وفقدان اليقين، ويظهر نتيجة التعرض المباشر أو غير المباشر لمواقف صادمة ومخيفة، وتؤدي كثرة التعرض للخوف إلى حدوث اضطرابات انفعالية وفسيولوجية (عبد الحميد ، ٢٠١٢، الصفحات ٩٠ – ٩١). هذا الشعور بالخوف تغلغل إلى نفسية (خلاوي)، وسكنها بعد أن كادت سيارة مسرعة أن تدهسه في أثناء عبوره أحد الشوارع في الكاظمية. وقد سكن مع أهله في غرفة صغيرة في خان قديم، تسكنه مجموعة من العوائل الفقيرة أيضا، وقد اضطر (خلاوي) إلى العمل عند زوج خالته (سعيد) بائع الثلج للمساعدة في مصاريف المعيشة، ولانشغال أخيه (سليم) بدراسة الدكتوراه في الإدارة والاقتصاد، وقد حاول الاندماج في عالم مدينة الكاظمية، والانشغال بالعمل وعدم مخالطة الغرباء، والاقتصار على الاستماع والإنصات إليهم كما أوصاه اخوه، فالمغترب((يهرب من وحدته وعزلته إلى الامتثال ، إذ أنه يشعر بالأمان كلما ازداد تماثله مع الآخرين. إن هدفه الأسمى أن يلقى الاستحسان من الآخرين، وخوفه الرئيس هو ألا يصادف هذا الاستحسان، وأن يكون مختلفا)) (حماد، ٢٠٠٥ ، الصفحات ١٥٠ – ١٥١) حتى يسحق (خلاوي) إرادته، ويتحول إلى ذات معطلة من الحرية والمسؤولية والحب، ليحقق الانتماء إلى العائلة، لكن يبدو أن اكتظاظ المدينة وازدحامها، وضجيج المكان واتساعه يثير في داخله الاغتراب النفسي والخوف من اقتحام عالم جديد، وقلقه المستمر الذي يزداد كلما زادت تحذيرات وتوصيات أخيه وجدّته من الناس المحيطين به، فعاش اغترابا اجتماعيا، ووحدة وعزلة من دون أصدقاء جدد قريبين من عمره، يتحدث ويلهو معهم، واقتصرت معرفته على أصدقاء أخيه الذين كانوا مشغولين بدراستهم الجامعية، وقلما يلتقيهم ويكتفي بالاستماع اليهم من دون مناقشة الأفكار والرؤى، التي يحملونها لكنها تترك أثرا في وعيه وفكره، الذي بدأ تسجيل كلّ شيء يتعرض إليه في هذا العالم الجديد، حتى تحولت مشاعر الخوف المتراكمة في نفسه نهارا إلى الظهور بشكل أصوات نباح الكلاب تلاحقه ليلا، وقد ظهر: ((نباح الكلب بعد أقل من أسبوع من وصوله إلى بغداد، وعدّه إشارة رعب بالنسبة له تضاف إلى رعب محاولة دهسه بسيارة الأجرة... الكلب ينبح بقوة كأنه يحمل حنجرة قطيع من الكلاب... حتى أنه لم يستطع سماع أخيه الذي يحاول تهدئته وهو يراه منكمشا على نفسه، ينظر بخوف... منتظرا متى ينتهي الكلب من النباح ويغادر منطقته)) (سعيد، ٢٠٢٢ ، صفحة ١٥)، وقد علّق أخوه على أزمته بأنه ما زال صغيرا ويتيما، ويشعر بالغربة والوحدة والملل لتركه الدراسة، وقد وعده بإلحاقه بالمدرسة العام القادم بعد تفرغه من دراسة الدكتوراه، ويذكره بأنه جاء إلى بغداد لإكمال تعليمه ودراسته مثل أخيه (سليم) ويجب عليه الابتعاد عما يشغل ذهنه بتناقضات المجتمع من حوله، لكن (خلاوي) لم يستطع السيطرة على صور هذه المخاوف التي تمكنت منه، وأصبحت تظهر مع كلّ أمر يزعجه، ولم تعد قاصرة على الليل وأشكال الكلاب، بل صارت تلاحقه نهارا وبهيئة القرود، أو الضباع أو الذئاب أو الخفافيش وغيرها. ومما فاقم الأمر عنده كثرة استماعه إلى(سعيد) زوج خالته، الذي يحمل أفكارا كثيرة، ويعبر عنها بطريقة انفعالية وهجومية تثير القلق والذعر عند (خلاوي) وفي الوقت نفسه تفتح وتغذي وعيه بتنوع الإشكاليات في هذا المجتمع: ((الازدواجية في المكان ما بين الإيمان المتعصب والإلحاد المفرط في ذات المكان الذي كان يتصوره مكانا فيه أفكار واحدة، لا يمكن تثنيتها أو حتى تقسيمها على قسمين متناقضين)) (سعيد، ٢٠٢٢ ، صفحة ٩١ ، وينظر: ٢٤ ، ٩٣)، وعلى الرغم من أن مدينة الكاظمية تحمل طابعا دينيا إلا أن هناك نماذج من البشر تعيش ازدواجية الشخصية ما بين الخير والشر وتحقيق المصالح والانتفاع من الأمور بكلّ أشكالها من دون مراعاة لقيم المجتمع العليا، ولطبيعة المكان كما في شخصية صاحب الفندق، الذي حوّل بعض الغرف في الفندق إلى أماكن لممارسة الرذيلة، وصاحب محل الصيرفة الذي يتاجر بالعملة المزيفة والربا، وصاحب البقالة وبائع الأعشاب اللذين يتحرشان بالنساء وغيرهم . وأدى اضطراب الأوضاع السياسية آنذاك في عام ١٩٧٩ وتعدد الأحزاب السياسية وتنوعها ما بين الأحزاب العلمانية والدينية والقومية إلى فزع وخوف (سعيد) الذي يعبر عنه بالآلهة الجدد، الذين سيكونون آلهة الحرائق والحروب ويدعو الناس إلى مواجهتهم والوقوف بوجههم، ويحذرهم من السكوت والخضوع مصورا ((حالة عجز الإنسان في علاقاته بالمؤسسات والمجتمع والنظام العام، بعد أن تحولت هذه كلها إلى قوة مادية ومعنوية تعمل ضده بدلا من أن تستعمل لصالحه، وفي سبيل تحسين أوضاعه المادية والإنسانية معا وإغناء حياته. وبهذا المعنى... يكون الإنسان المغترب عاجزا وفقيرا في صلب حياته الخاصة والعامة ومهمشا لا يقوى على المساهمة في خدمة المجتمع وإعادة تشكيله)) (بركات، ٢٠٠٠، صفحة ٩٢١ وينظر ، سعيد : ١٠٨) وكلما توقف وعي (خلاوي) وتفكيره في رصد هذه التقلبات، وتحذيرات العم (سعيد) كانت تشتد عليه وطأة الأصوات

والأشكال عند خوفه من حدث معين:((شعر خلاوي بالخوف والارتباك حين سمع كلمة كلب، تراءت له الأشياء بوجوه كلاب نابحة.. صور مرعبة تخرج له مدججة بالمخالب والأنياب والصراخ والوعيد.. لا يفهم ماذا يحصل من واقع سياسي يتنابز به الاثنان الخائفان.. لذا تكاثرت عليه الكلاب وكأنه من سينهش لحمه)) (سعيد، ٢٠٢٢ ، الصفحات ١١١ – ١١٢)، وفي محاولته الاسترخاء من هذه المخاوف يلجأ إلى تذكر أيامه الماضية في محافظته الجنوبية حيث البيت والأصدقاء واللعب والفطرة السوية، وتمنى عدم مجيئه إلى بغداد، والتعرض لتناقضات الحياة واختلاف الأفكار فيها، الأمر الذي يصيبه بالاغتراب المجتمعي وانقطاع التواصل مع الآخرين؛ لانهم مزيفون ومخادعون، يحملون حقائق أخرى مختلفة عما يعلنون في مجتمعهم، ولم يستطع (خلاوي) تحقيق حلمه بإكمال دراسة الإعدادية لبلوغ عمره الثامن عشر، واستدعائه إلى الخدمة العسكرية في الحرب، وهو يتماهى مع صوت العم (سعيد) محذرا إياه من الدمار والخراب:((لم يجد شيئا يلوذ به غير الصمت... حينها سيحل الخراب بك وبعمرك)) (سعيد، ٢٠٢٢ ، صفحة ٢٤٠) ، وتتحول رؤيته للعالم إلى رؤية مأساوية للتصادم بين الحلم والواقع (بدر، ٢٠١٢، صفحة ١٠٣)، وقهره الاغتراب بضياع حلمه، وفرض عليه الصمت، والخوف وشبح الموت والعجز عن مواجهة السلطة.

نتائج البحث:

- تحقق الاغتراب في دراستنا في ثلاثة أنواع: الاغتراب العاطفي، والاغتراب الفكري، والاغتراب الاجتماعي
- الاغتراب حالة إنسانية تصيب الفرد بحسب المؤثرات الخاصة والعامة لذلك تتعدد أنواعه وأشكاله.
- يصيب الاغتراب كلّ شخصيات المجتمع من الرجل والمرأة، والشاب والشيخ ومختلف الطبقات الاجتماعية من دون الاقتصار على فئة معينة.
- تعدد صور الشخصيات المغتربة يدل على أن الاغتراب هو سمة العصر في المجتمعات الحديثة.
- بعض الشخصيات المغتربة تبقى متأرجحة بالاغتراب ومهادنة له ولا تتجاوز أزمتها الاغترابية بل تستمر خاضعة للظروف.
- وصول المغترب إلى مرحلة عدم الرغبة برؤية نفسه في المرآة يدل على خشيته من رؤية كم التغيير في ملامح وجهه وحياته بعد الاغتراب، واستسلامه وهروبه من لحظة وعي وإدراك قد تمكنه من إعادة اندماجه مع الذات والمجتمع.
- يكون قهر الاغتراب بالانتصار للإرادة الذاتية وتحقيق المغترب موقفا من أزمته سواء كان بالتصالح مع الذات وإعادة الاندماج مع المجتمع أو في الإمعان في الاغتراب والوصول إلى اقصى أزمته.
- حققت عتبة العنوانات في الروايات نماذج البحث التعبير عن فكرة الاغتراب الرئيسة في خطابها الروائي.
- إن الاغتراب الاجتماعي غالبا ما يرتبط بالغربة المكانية.
- إن ذاكرة المغترب الإيجابية من الممكن أن تكون المشعل، الذي يوقد حياة المغترب وينقذه من تحول الاغتراب إلى مرض يعصف بروحه.
- إن ذاكرة المغترب السلبية من الممكن أن تضخم أزمة الاغتراب عليه وتسحقه ولا تمنحه هدنة بالبقاء والمحافظة على ذاته.

المصادر:

احمد علي الفلاحي. (٢٠١٣). الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري دراسة اجتماعية نفسية ، ط (١). الأردن : دار غيداء للنشر .

أسمى الزهار. (٢٠٢١). أحاسيس في المنفى ،ط(١). لبنان: دار الفارابي.

ايريك فروم. (٢٠٠٣). الإنسان المستلب وآفاق تحرره،ط(١). (حميد لشهب، المترجمون) الرباط: شركة نداكوم للطباعة والنشر.

باسمة درمش. (٢٠٠٧). عتبات النص. علامات، مج ١٦ ، ج ٦١ .

جمال الدين بن مكرم بن منظور. ((ب،ت)). لسان العرب. لبنان: دار صادر.

جمال حيدر. (٢٠٢٣). غريب في لندن ، ط(١) . بغداد : دار المفكر للكتب .

حسن حماد. (٢٠٠٥). الإنسان المغترب عند إريك فروم ، ط(١) . القاهرة : دار الكلمة .

حليم بركات. (٢٠٠٠). المجتمع العربي في القرن العشرين بحث في تغير الأحوال والعلاقات، ط(١) . بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية .

حليم بركات. (٢٠٠٦). الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع ، ط(١) . بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية

سوزان دروزة. (٢٠٢١). قبعة الزهايمر ، ط(١). عمان: دار فضاءات.

شاكر عبد الحميد . (٢٠١٢). الغرابة المفهوم وتجلياته في الأدب. الكويت: عالم المعرفة.

طارق بن موسى العتيبي. (٢٠١٨). الاغتراب دراسة تأصيلية فلسفية علمية، ط(١). دار الكتاب الجامعي للنشر والتوزيع.

عبد الحق بلعابد. (٢٠٠٨). عتبات جيرار جينيت من النص الى المناص ، ط(١). الدار العربية للعلوم– ناشرون، منشورات الاختلاف.

عبد الرزاق جبار المدرس. (٢٠٢٠). الرواية والبناء دراسة في البناء الفني في الرواية العراقية المعاصرة ٢٠٠٣-٢٠٠٦ م ، ط(١) دار المفكر

عبد اللطيف محمد خليفة. (٢٠٠٣). دراسات في سيكولوجية الاغتراب ،ط(١) . القاهرة : دار غريب .

عبد المالك اشبهون. (٢٠١١). العنوان في الرواية العربية دراسة ،ط(١). سوريا : محاكاة للنشر والتوزيع .

علي لفتة سعيد. (٢٠٢٢). باب الدروازة ، ط(١) . بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة .

فاطمة بدر. (٢٠١٢). الشخصية في أدب جبرا إبراهيم جبرا الروائي،ط(١) . بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة .

محمد ابو فلغة. (٢٠٢٢). الهجرة في الشرق الأوسط وشمال افريقيا. الباروميتر العربي.

محمد الداهي. (٢٠١٣). صورة الأنا والآخر في السرد، ط(١) . القاهرة : رؤية للنشر والتوزيع .

محمود عبد الوهاب . (١٩٩٥). ثريا النص مدخل لدراسة العنوان القصصي، سلسلة الموسوعة الصغيرة(٣٩٦). بغداد: وزارة الثقافة والإعلام.

وداد هاتف وتوت. (٢٠١٥). العتبات النصية المحيطة في أعمال صنع الله إبراهيم الروائية ،ط(١) . بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة .

References:

- Abdel Haq Belabed. (2008). Gerard Genette's thresholds from text to context, ed. (1). Arab House for Sciences - Publishers, Ikhtilaf Publications.
- Abdul Latif Muhammad Khalifa. (2003). Studies in the Psychology of Alienation, ed. (1). Cairo: Dar Gharib.
- Abdul Malik Ashbhon. (2011). The Title in the Arab Novel, a Study, ed. (1). Syria: Simulation for Publishing and Distribution.
- Abdul Razzaq Jabbar Al-Mudarris. (2020). The Novel and the Structure A Study in the Artistic Structure in the Contemporary Iraqi Novel 2003-2006 AD, ed. (1). France: Dar Al-Mofaker for Books.
- Ahmed Ali Al-Falahi. (2013). Alienation in Arabic poetry in the seventh century AH, a social and psychological study, ed. (1). Jordan: Ghaida Publishing House.
- Ali Lafta Saeed. (2022). Bab Al-Darwaza, ed. (1). Baghdad: General Cultural Affairs House.
- Asma Al-Zahar. (2021). Feelings in exile, ed. (1). Lebanon: Dar Al-Farabi.
- Basima Darmash. (2007). Thresholds of the text. Signs, Vol. 16, No. 61.
- Erich Fromm. (2003). The alienated person and the prospects of his liberation, ed. (1). (Hamid Lashab, translators) Rabat: Nedakum Printing and Publishing Company.
- Fatima Badr. (2012). Character in the Novelistic Literature of Jabra Ibrahim Jabra, ed. (1). Baghdad: General Cultural Affairs House.
- Halim Barakat. (2000). Arab society in the twentieth century, a study of changing conditions and relationships, ed. (1). Beirut: Center for Arab Unity Studies.
- Halim Barakat. (2006). Alienation in Arab culture, the labyrinths of man between dream and reality, ed. (1). Beirut: Center for Arab Unity Studies.
- Hassan Hammad. (2005). The alienated person according to Erich Fromm, ed. (1). Cairo: Dar Al-Kalima.
- Jamal Al-Din bin Makram bin Manzur. ((B, T)). Lisan Al-Arab. Lebanon: Dar Sadir.
- Jamal Haidar. (2023). A stranger in London, ed. (1). Baghdad: Dar Al-Mofaker for Books.
- Mahmoud Abdel Wahab. (1995). Thuraya Al-Nas, an introduction to the study of the narrative title, the Small Encyclopedia series (396). Baghdad: Ministry of Culture and Information.
- Muhammad Abu Falagh. (2022). Migration in the Middle East and North Africa. The Arab Barometer.
- Muhammad Al-Dahi. (2013). The Image of the Self and the Other in Narration, ed. (1). Cairo: Ruya for Publishing and Distribution.
- Shaker Abdel Hamid. (2012). Strangeness, the concept and its manifestations in literature. Kuwait: Alam Al-Ma'rifa.
- Suzan Darwazeh. (2021). Alzheimer's hat, ed. (1). Amman: Fadaat House.
- Tariq bin Musa Al-Otaibi. (2018). Alienation, an original philosophical and scientific study, ed. (1). Dar Al-Kitab Al-Jami'i for Publishing and Distribution.
- Wadad Hatef and Tut. (2015). The surrounding textual thresholds in the novelistic works of Sanallah Ibrahim, ed. (1). Baghdad: General Directorate of Cultural Affairs.